يفهم مما أشير إليه من نشاطات الشيخ ابن اللبان الاسعردي في مجال تفسير القرآن الكريم على وجه الخصوص التطرق إلى المحكم والمتشابه فيه أنه بذل جهداً ملحوظاً في هذا المجال قلما تطرق إليه معاصروه. ومن ضوء النص الذي أورده البحث آنفاً يتبين أنه كان موفقاً في تقريب مفهوم المتشابه في القرآن إلى أذهان الناس وارتسام صورته فيها بغية توضيح الحكمة في اشتمال القرآن على هذه الآيات.

وعلى الرغم من أن الحافظ شهاب الدين أحمد بن أحمد بن أحمد بن الحسين بن موسك الكردي الهكاري المتوفى سنة (٧٦٣هـ/١٣٦٢م) إشتهر بكونه محدثاً وذلك حسب المصادر المتاحة التي ترجمت له[١] غير انه اهتم بعلم التفسير وشرع في تفسير القرآن الكريم وصنف فيه، حيث توجد في دار الكتب التابعة للجامعة العربية تحت (رقم ٤٦٣ تفسير) أجزاء من مخطوطة مصورة في تفسير القرآن من تأليف الحافظ شهاب الدين الكردي الهكاري[٢] مكتوبة بخط المؤلف، يحتوي الجزء الأول من المخطوط على تفسير سورة سورة البقرة والجزء الثاني يبتدئ بتفسير قوله تعالى ((**رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**))[٣]. وينتهي بتفسير قوله تعالى ((**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ**))[٤] في هذا الجزء نقص من مواضع عدة، ولم يشر إلى الجزء الثالث ويبتدئ الجزء الرابع بتفسير قوله تعالى ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**))[٥] وينتهي بآخر سورة النور. وقد أصاب هذا الجزء نقص ظاهر في

---

[١] ينظر المقريزي، درر العقود الفريدة، ج١، ص ص٣٧٨-٣٧٩ " ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ج١، ص١٠٤ " ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٤٨.

[٢] ابتسام مرهون الصفار، معجم الدراسات القرآنية، (الموصل : ١٩٨٤)، ص ٢٦٤.

[٣] سورة آل عمران / الآية ٨.

[٤] سورة المائدة / الآية ١١٠.

[٥] سورة التوبة / الآية ٣٤.

أوله ووسطه. وأما الجزء الخامس منه فيبتدئ بالكلام على تفسير قوله تعالى ((قالوا أنؤمن لكَ واتبعكَ الأرذلون))[1].

وينتهي بتفسير قوله تعالى : ((واذكر عبدنا أيوبَ إذ نادى ربّهُ أنّي مسّني الشيطان بنصب وعذاب))[2]. وبهذا الجزء ايضاً نقص في مواضع عدة، ويبتدئ الجزء السادس بتفسير أول سورة من سورة الزمر وينتهي بآخر سورة الحشر وخصص الجزء السابع لتفسير قوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات))[3]وينتهي بتفسير قوله تعالى ((ومن شرّ غاسقٍ إذا وقبَ))[4] وهذا آخر ما وجد من هذا التفسير[5].

ومن المرجح أن الحافظ شهاب الدين الهكاري اكمل تفسير القرآن الكريم في تلك الأجزاء السبعة على الرغم من أنها تنتابه نواقص نعتقد أنها ناتجة عن إصابة المخطوط بالتآكل والتلف وذلك بمضي الزمن عليها، ولا سيّما إنها النسخة الأصلية التي كتبت بخط المؤلف ومما يحسن التمحيص فيه أن النقص الظاهر الذي يقع بين نهاية الجزء الثاني وبداية الجزء الرابع من التفسير يبتدئ من الآية (١١١) من سورة المائدة إلى الآية (٣٤) من سورة التوبة التي تشتمل على الآيات العشر الأخيرة من سورة المائدة وسورة الأنعام والأعراف والأنفال و (٣٣) آية من أول من سورة التوبة، ويظهر أن الجزء الثالث من التفسير افرد لتفسير سورة الأنعام والأعراف والأنفال، وعلاوة على النواقص الموجودة في تفسير بدايات بعض السور ونهاياتها إلاّ أنه وصل في تفسيره إلى نهاية القرآن إذ استثنينا نقص تفسير آيتين من سورة الفلق مع سورة الناس.

---

[1] سورة الشعراء / الآية ١١١، وتجدر الإشارة إلى أن الباحث مصطفى الصاوي الجويني أدرج آية أخرى بدلاً من الآية التي ثبتت أعلاه " ينظر : أعلام الدراسات القرآنية، ص٣٦٣.

[2] سورة ص / الآية ٤١.

[3] سورة الممتحنة / الآية ١٠.

[4] سورة الفلق / الآية ٣.

[5] ينظر : مصطفى الصاوي الجويني، مرجع سابق، ص ص٢٦١-٢٦٢.

ب. علم الحديث

يعدّ علم الحديث من افضل العلوم الإسلامية، وهو على ما نقله السيوطي عن أبن الأكفاني (ت ٧٩٤هـ/١٣٩٢م) علم يشتمل على الرواية والدراية، فالرواية عبارة عن ((نقل أقوال النبي (ﷺ) وأفعاله وروايتها وضبطها وتحريرها وألفاظها وعلم الحديث الخاص بالدراية علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها وحال الرواة وشروطهم وأصناف المرويات. وما يتعلق بها))[١]. ونظراً لان الحديث النبوي (ﷺ) يشكل أساس السنة النبوية التي هي الأصل الثاني في الإسلام بعد القرآن لذا كثر اهتمام العلماء به وعظمت منزلتهم بين المسلمين[٢]. لما قاموا به في تفحيص أحوال الرواة ومتون الأحاديث وأسانيدها وتمييز صحيحها من سقيمها.

ازدهر علم الحديث بمصر وبلاد الشام خلال عهد المماليك البحرية وذلك يعد تراجع دور أقاليم المشرق الإسلامي في ذلك كما ينقل لنا المؤرخ المحدث الذهبي صورة تلك الحقيقة في عصره بقوله : ((اما اليوم فقد كاد يعدم علم الأثر في العراق وفارس وأذربيجان، بل لا يوجد باران وجيلان وأرمينية والجبال وخراسان التي كانت دار الآثار وأصبهان التي كانت تضاهي بغداد في علو الإسناد وكثرة الحديث والأثر والباقي من ذلك ففي مصر ودمشق حرسها الله تعالى وما تاخمها وشيء يسير بمكة وشيء بغرناطة ومالقة وشيء بسبته وشيء بتونس نسأل الله حسن الخاتمة))[٣]، ويمكن القول أن الكثير من النساء قد اقبلن على طلب العلم وخاصةً علم الحديث، فحرصت كثيرات منهن على الحضور في الحلقات العلمية، حيث يجلسن في مكان منفرد عن الرجال[٤].

---

[١] تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، حققه ابو قتيبة نظر محمد الفاريابي (بيروت :١٤١٧هـ)، ج١، ص ص٢٥، ٢٦ " وينظر، حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص٦٣٥.

[٢] الطيبي، الخلاصة في أصول الحديث، تحقيق : صبحي السامرائي (بغداد : ١٣٩٢هـ)، ص ص ٢٩-٣٠ " عبدالكريم زيدان عبدالقادر داؤد عبدالله، علوم الحديث،(بغداد، ١٩٨٠)، ص ص٨-٩.

[٣] الأمصار ذوات الآثار، حققه وقدم له بدراسة، قاسم علي سعد (بيروت: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦)، ص ص٢٣٠-٢٣٤.

[٤] سعيد عبدالفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك (القاهرة : ١٩٦٢م)، ص ١٣٨.

برز في مصر وبلاد الشام خلال فترة البحث العديد من علماء الكرد، ممن اعتنوا بعلم الحديث، ويمكن ان يعد جهودهم في ذلك امتداداً لما قام به علماء الكرد في العصور السابقة إذ ظهر رواة ومحدثون في بداية العصر الإسلامي، وتواصل هذا النهج في العصور اللاحقة إلى العصر المملوكي، حيث يطالعنا فيه العديد من علماء الكرد المحدثين الذين انكبوا على سماع وجمع وضبط الأحاديث وإسماعها وإملائها حتى اشتهر الكثير منهم كمحدثين أشادت المصادر بجهودهم في هذا المجال.

يعدّ المحدث الصالح المعمر عبدالله بن الحسن الهكاري من مشاهير المحدثين الكرد في بداية العصر المملوكي الذي حدث ببلاد الشام وسمع منه المحدث الشهير الدمياطي[1] (صحيح البخاري) توفي سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م[2]. ومن المحدثين الذين مالوا منذ نعومة أظفارهم إلى سماع الحديث المحدث عمر بن أبي نصر أبو حفص الجزري الذي كان أصله من جزيرة ابن عمر وكان تاجراً كثير السفر طلب الحديث في بلاد الشام وروى عنه الدمياطي وعلماء آخرون، توفي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م [3]، ومن علماء الجزيرة ايضاً عني أبو القاسم علي بن يوسف الجزري عناية بالغة بعلم الحديث وذكر بأنه كان شيخاً صالحاً طلب الحديث وسمع ببغداد من مشاهير شيوخها، ثم ارتحل إلى بلاد الشام ونزل بدمشق فحدث بها وبحلب سمع منه طلاب الحديث وذكره الدمياطي في معجمه توفي سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م بدمشق[4].

أما في مصر فظهرت المحدثة فاطمة بنت ابن منصور الفارقي التي روت بالإجازة عن بعض شيوخها وكتب عنها بعض المحدثين وتوفيت سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م [5]. وفي تلك الحقبة حدث بالقاهرة ودمشق المحدث أبو إسحاق الكردي الضرير الهذباني، حيث قصده طلاب

---

[1] شرف الدين الدمياطي الحافظ المحدث، تفقه بدمياط ورحل في طلب الحديث وهو يعد شيخ محدثي عصره وله تصانيف في الحديث والفقه واللغة توفي سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ص١٢-١٣.

[2] الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٥١-٦٦٠)، ص ص١٢٤-١٢٥، سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٢٨١.

[3] م. ن، ص٢٧٩.

[4] م.ن، ص٣٢٠ " ابن رافع السلامي، تاريخ علماء بغداد، ص١٢٦.

[5] الذهبي، م.ن، ص٣٢١.

الحديث وأدرجه بعض مشاهير المحدثين ضمن معجم شيوخهم توفي سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٤م بإحدى ضواحي القاهرة[١].

وقامت دور الحديث الموجودة في مصر وبلاد الشام بدور كبير في توفير الأجواء المناسبة للمحدثين في إنماء مهاراتهم وصقل تجاربهم، منها دار الحديث الأشرفية في دمشق التي نبغ فيها الشيخ جمال الدين يوسف الاربلي، فكان له سماعات كثيرة روى عنه محدثون أجلاء وكان رجلاً خيراً توفي سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٤م [٢].

ومما يلفت الانتباه كثرة المحدثين من الكرد الأربليين بالديار المصرية في تلك الحقبة الذين كان لهم اثر ملحوظ في جذب اهتمامات طلاب العلم إلى علم الحديث. ومن أولئك المحدثين الأمير عزالدين الكردي الزرزتري الاربلي الذي روى الأحاديث بإجازة شيوخه وسمع منه كبار علماء مصر توفي سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م[٣]. وكان العدل جنيد بن عيسى أبو القاسم الزرزاري الاربلي بعد أن سمع بأربل من مشاهير شيوخها ارتحل إلى القاهرة وحدث بها ومن ثم انتقل إلى دمشق وتوفي هناك سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م[٤]. وكان ((عدلاً أميناً ضابطاً وعنده رياسة ومكارم أخلاق ولين جانب وحسن عشرة ومحاضرة حسنة وعنده فضيلة وأدب))[٥]. وأما معاصره محمود بن أبي القاسم أبو محمد الدشتى[٦] الأربلي فعني بالحديث بالحديث وسمع الكثير ونسخ أجزاءً وعرف خطه بالرديء وله تعاليق وتواليف روى عنه جماعة وكان داعية إلى السنة وحياته مثالاً للقناعة والعفة توفي بمصر سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م[٧]. ويفهم من النظرة الفاحصة إلى سيرة أولئك المحدثين أنهم سمعوا الحديث ببلادهم في بداية مشوارهم العلمي ومن ثم رحلوا طلاباً له واستقروا في مصر بعد أن وجدوا بغيتهم فيها.

---

[١] م.ن، ص ٩٦ " الصفدي، نكت الهميان، ص٩٠.

[٢] أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢٣٢ " الذهبي، م. ن، ص ص ١٢١-١٢٢ " تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٤٤٣.

[٣] الذهبي، مصدر سابق، ص١٥٩.

[٤] الذهبي، تاريخ الإسلام، ص١٩١ " الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٥٠.

[٥] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٣٦٥.

[٦] الدشتي : منطقة ينسب إليها بعض العلماء تقع بين أربل وتبريز، الزبيدي، تاج العروس من جواهر جواهر القاموس، (مصر : ١٣٠٦هـ)، ج١، ص ٥٤٤.

[٧] الذهبي، مصدر سابق، ص ص٢٠٦-٢٠٧ " ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٢٣.

ومن علماء خلاط الذين هجروا المنطقة طلباً للحديث منذ بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي المحدث على بن داؤد أبو الحسن الخلاطي الذي حدث بدمشق والقاهرة وتوفي سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٩م بالقاهرة[١].

ولم يقتصر طلب الحديث والاهتمام بمختلف جوانب علوم الحديث على العامة من العلماء، بل شارك الأمراء والشخصيات الكردية من ذوي النفوذ والمكانة في النهوض بالحياة العملية في مصر وبلاد الشام وكان هذا النهج راسخاً بينهم منذ أيام الدولة الأيوبية واستمر في عهد دولة المماليك البحرية، ففي تلك الحقبة ظهر من بين أفراد الأسرة الأيوبية وخصوصاً في علم الحديث المحدث عباس الملك الأمجد تقي الدين نجل الملك العادل الذي كان جليل القدر محترماً عند السلطات المملوكية حدث عن مشاهير علماء عصره وروى عنه بعض المحدثين توفي سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م وكان حلو المجالسة ودمث الأخلاق[٢].ويعد الأمير شرف الدين الكردي الهكاري من أعيان أمراء الكرد المشهورين بالشجاعة والإقدام ولاسيما في مواجهة الصليبيين في عهد الملك الظاهر بيبرس، والى جانب ذلك سمع الحديث من شيوخ عصره وحدث عنه بعض العلماء ورووا عنه، توفي سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م ووصف بالكرم والمروءة والحشمة[٣]. ومن شخصيات البيت الأيوبي اهتم عمر الملك المغيث بن الملك الفائز بن الملك العادل بالحديث وروى من بعض شيوخ عصره وإجازة وكتب عنه الطلبة المصريون إلى أن توفي سنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م[٤].

ظهر من بين علماء الكرد في تلك الحقبة أناس اشتهروا بالتصوف واهتموا بعلم الحديث، كالشيخ تقي الدين أبو الفتح الأربلي الذي رحل من بلدته أربل إلى بلاد الشام وسمع بها، وكان محباً للرواية وحدث بالإجازة من جماعة بمصر والشام توفي سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م وكان صوفياً خيراً[٥]. أما المحدث نجم الدين الشهرزوري فمارس الإمامة في

---

[١] الذهبي، م.ن، ص٢٤٣.

[٢] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٤٦٠ " الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٦٦٠ " الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠، ص ص٤٠٦-٤٠٧ " ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٩٥.

[٣] الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ص٢٩٢-٢٩٣ " العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٨٧ " ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢٣٣.

[٤] الذهبي، م.ن، ص٧٤.

[٥] م.ن، ص١٣٦ " العيني، مصدر سابق، ج٢، ص١٣٧.

دمشق وسمع كثيراً وكتب الطباق والأجزاء وحدث توفي سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م وكان يعرف بأبن الباقلاني[١].

تزخر مصادر العصر المملوكي بأسماء العديد من علماء الكرد من الأيوبيين الذين نسجوا على منوال أسلافهم من السلاطين والأمراء في رعاية العلوم والآداب وحتى المساهمة الفعلية في النهوض بها. ويلاحظ الباحث في تاريخ الإسلام الحضاري في العصر المملوكي كثرة المحدثين من أمراء وملوك الأيوبيين وأبناءهم الذين ذاع صيتهم علماء لا أمراء، ومن أولئك المحدثين أرسلان بن داؤد الأيوبي الذي سمع الحديث وأجاز للبرزالي[٢] وعلماء آخرون وحدث بدمشق والقاهرة. توفي سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م[٣].

ومن أميرات الأيوبيات نبغت المحدثة فاطمة بنت الملك المحسن التي سمعت من بعض الشيوخ وأجاز لها بعضهم وحدثت، روى عنها المحدث الدمياطي وكناها أم عمرو وصفت بأنها كانت جليلة، عالية الإسناد، توفيت سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م ببزاغة من حلب[٤].

كما واهتم الملك الظاهر شاذى بن داؤد الأيوبي بعلم الحديث وسمع من كبار شيوخ عصره وحدث بدمشق إلى ان توفي سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م وكان ديناً خيراً متواضعاً[٥]. وأما معاصره الملك السعيد بن الملك الصالح الأيوبي فيعدّ من أعيان أولاد الملوك وكان له المكانة الرفيعة، وروى عن بعض مشاهير المحدثين كما روى كتاب (الموطأ) للإمام المالك (رحمه الله) توفي سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م[٦]. وكان دمث الأخلاق حسن العشرة، فضلاً عن اهتمامه بعلم الحدث، عني بالمآكل والتآنق وحتى يذكر انه صنف كتاباً في المآكل وألوانها[٧].

---

[١] الذهبي، م. ن، ص٢٧٥.

[٢] علم الدين االبرزالي، الحافظ المحدث الشهير في بلاد الشام، ولى مشيخة دار الحديث النورية وصنف تاريخاً ذيلاً على تاريخ ابن شامة في سبع مجلدات ومعجم كبير، توفي سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٩م، ابن كثير البداية والنهاية، ج١٤، ص١٣٧ " ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص١٢٢.

[٣] الذهبي، مصدر سابق، ص٣٠٢.

[٤] م. ن، ص٣١٤.

[٥] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٧٢.

[٦] أبن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٣٠ " ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص٩٥ " العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٣٣٩.

[٧] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص٢٢٤.

نخلص مما سبق إلى أن الكثير من الشخصيات الأيوبية بعد فقدان سلطتهم في مصر وبلاد الشام ركنوا إلى الاهتمامات العلمية وعلى الرغم من أن هذا الاتجاه كان راسخاً فيهم ولكن ظهر معالمه جلياً خلال العصر المملوكي حيث تفرغ بعض أمرائهم للعلم وحده.

ومن العلماء الاربيليين الذين ازدانت بهم مجالس العلم في مصر وبلاد الشام، خلال عهد المماليك البحرية المحدث عماد الدين الاربلي المعروف بأبن الكردي الذي سمع الحديث وسمع منه بعض علماء عصره توفي سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م بمصر[١]. وفي الحقبة نفسها ورد ذكر المحدث العدل أمين الدين الاربلي الذي رحل مع أبيه وهو شاب وسمع صحيح مسلم ورواه بدمشق كان صدوقاً. توفي سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١ وهو من مشاهير تجار عصره[٢].

ويعد المحدث الزاهد مجد الدين محمد بن خالد الهذباني الحموي من كبار شيوخ المحدثين ببلاد الشام، إذ رحل في طلب الحديث إلى العديد من المدن وسمع بها كبغداد ومصر وجاور بمكة. وأقام مدة في مدينة دمشق، وحدث كذلك، حيث سمع منه المحدث البرزالي وآخرون واستقر بعد ذلك بمدينة حلب، إلى أن توفي سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م وكان كبير القدر مهيباً[٣]. ومن تتبع السيرة الذاتية لأولئك العلماء يمكننا أن نقول أنهم ومنذ عنفوان شبابهم فارقوا بلدتهم أربل وارتحلوا في سبيل العلم واستقروا في مصر وبلاد الشام، حيث وجدوا ضالتهم من العلم والمعاش.

والباحث عن الحياة العلمية في مصر وبلاد الشام في أواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي لا بد أن يستوقفه زخم الإسهام العلمي لبعض أفراد البيت الأيوبي ومنهم بعض الخواتين، كعصمة الدين مؤنسة خاتون بنت الملك العادل الأيوبي، التي سمعت الحديث واهتمت به وروت بالإجازة وحدثت ببعض الأحاديث وكانت ذات عقل وأدب توفيت سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م[٤].

---

[١] الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٣٣٠.

[٢] اليونيني، مصدر سابق، ج٤، ص٢١ " الذهبي، العبر، ج٣، ص٣٤٤.

[٣] الصفدي، مصدر سابق، ج٣، ص٣٦ " الكتبي، عيون التواريخ، ج٢١، ص٤٣١ " المقريزي، السلوك، ج٢، ص٢٠٩.

[٤] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٥٦ " المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٦٨ " العيني، عقد الجمان، ج٣، ص ص٢٥٦-٢٥٧.

وعد الملك الحافظ غياث الدين الأيوبي من فضلاء عصره سمع الحديث وروى (صحيح البخاري)[1] ونسخ الكثير بخطه توفي سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م. وكان محباً للفقراء والعلماء[2]. وذكر المؤرخ الزبيدي أنه أجاز الحافظ الذهبي[3]. وهذا يدل على انه قصده كبار طلاب الحديث اعتباراً لمكانته العلمية. ومن الخواتين اللاتي اسهمن في الحياة العلمية المحدثة نسب خاتون بنت الملك الجواد الأيوبي التي اهتمت بعلم الحديث وسمعت من بعض محدثي عصرها وحدثت إلى حين وفاتها سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م، وهي معمرة وكانت صالحة خيرة ومالت إلى الحنابلة وسمعت الحديث عندهم[4]. كما ويعدّ الملك الأوحد يوسف بن الناصر الأيوبي من المهتمين بالحديث إذ سمع من المحدث ابن اللتي وروى عنه الدمياطي في معجمه توفي سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م[5].

ومن العلماء الذين رحلوا من بلاد الكرد وطلبوا الحديث في الديار المصرية المحدث تقي الدين عبيد بن محمد الاسعردي الذي ذكر بأنه انتقل مع والده إلى مصر وسمع الحديث معه هناك وبرعا فيه إلى أن وافته المنية في سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢م. وذكر بأنه كان ثقة[6]. وصفه المؤرخ السيوطي بـ ((الإمام الحافظ مفيد القاهرة، شرح الكثير، برع في التخريج وأسماء الرجال...))[7].

---

(١) فيما ذكر المؤرخ اليافعي أنه روى صحيح مسلم، ينظر مرآة الجنان، ج٤، ص١٦٧.

(٢) الذهبي، العبر، ج٣، ص٣٨٠ " الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص١٤٧ " ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٥٦ " العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٢٥٤ " ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٢٤.

(٣) ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب، تحقيق صلاح الدين المنجد، (دمشق : ١٣٨٨/١٩٦٩)، ص٥٠.

(٤) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٢١١٩ " العيني، مصدر سابق، ج٣، ص٣٨١.

(٥) ابن القاضي، ذيل وفيات الأعيان، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور (الفجالة:١٩٧٤)، ج٣، ص٣٤٤" ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج٥، ص٤٤٣.

(٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٤٧٧ " ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٤٠ " ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج٥، ص٤٢١.

(٧) حسن المحاضرة، ج١، ص٣٥٦.

لم يقتصر طلب الحديث والبراعة فيه بين نساء الكرد في تلك الحقبة على خواتين البيت الأيوبي فقط، بل شاركتهن أخريات من مشاهير محدثات العصر، أمثال المحدثة سيدة بنت موسى بن عثمان بن درباس الماراني التي كانت شيخة صالحة معمرة وكانت لها إجازة من بعض علماء عصرها منذ سنة ٦٠٩هـ/١٢١١م وروت الأحاديث. وذكر المؤرخ الصفدي ان الشيخ شمس الدين الذهبي المحدث قال ((كنت أتلهف على لقيها، وماتت قبل دخولي القاهرة سنة خمس وتسعين وستمائة بعشرة أيام))[١]. وبهذا نستنتج أنها تعدّ من مشاهير محدثي عصرها وذلك لطول باعها في طلب الحديث وروايته ولا سيّما إنها قضت حوالي ست وثمانين سنة من عمرها وهي مجازة في علم الحديث.

عاصرت المحدثة سيدة المارانية المحدثة زينب بنت سليمان الاسعردي[٢]. وهي من اشهر محدثات مصر في عصرها، وكان أصلها من أسعرد، ونبغت في مصر، حيث سمعت من كبار العلماء (صحيح البخاري) وحصلت على إجازات علمية متعددة وتفردت بالرواية عن جماعة، توفيت سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م[٣] وهي من المعمرات. ويذكر الصفدي أنها كانت نزيلة القاهرة وسمع منها الذهبي المحدث [٤].

ثم علماء كان أصلهم يرجع إلى شهرزور وميافارقن وأربل ورد ذكرهم في المصادر كمحدثين أمثال احمد بن عبدالرحمن بن أحمد الشهرزوري نزيل القاهرة الذي يظهر بأنه كان قديم الاهتمام بعلم الحديث، اذ سمع (علوم الحديث) من مؤلفه ابن الصلاح (الشهرزوري) المتوفي ٦٤٣هـ/١٢٤٥م نفسه وسمع من علماء آخرين وحدث، مات سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م[٥].

---

[١] الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٦٥. يذكر أبن جعفر أن سيدة بنت موسى المارانية لها مشيخة. ينظر : المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، تحقيق : يوسف عبدالرحمن المرعشلي (بيروت : ١٩٩٤)، ج٢، ص ٢١٠.

[٢] صحفت لفظة الاسعردي إلى الاسعردى عند الصفدي، اعيان العصر، ج٢، ص٧١.

[٣] الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق : علي بن محمد البجاوي، (بيروت :د.ت)، ج٢، ص٦٣٢ " المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٠٣ " ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢١٢" السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٣٨٧ " ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص١٢.

[٤] أعيان العصر، ج٢، ص٧١٢.

[٥] ابن حجر، مصدر سابق، ج١، ص١٧٦.